ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

**Sahar Ali Ibrahim Al-Daraji**

Ministry of Education/General Directorate of Education,Salah al-Din

* *Corresponding author: E-mail* :اميل الباحث

***Keywords*:**
**place**
**correspondence**
**Berlin**
**Damascus**
**memories**

A R T I C L E I N F O

***Article history:***
Received 1 Sept 2024
Received in revised form 25 Nov 2024
Accepted 2 Dec 2024
Final Proofreading 25 May 2025
Available online 30 May 2025
*E-mail* t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

# The place is in the book (In the Literature of Friendship) by Abdul Rahman Munif and Marwan Qassab Bashi

A B S T R A C T

The research titled "Place in the Book 'In the Art of Friendship' by Abdul Rahman Munif and Marwan Kassab Bashi" addresses the phenomenon of place, which holds significant importance in literary writings, particularly in narrative forms. The concept of place possesses objective denotative energies derived from its eternal value in human life. However, the authors present it in a dynamic and impactful manner that imbues the texts with a sense of modernity and presence.

The concept of place is intertwined with both the creator and the act of creation, as it is linked to the writer's personal experience. Place transcends confined boundaries and extends into infinite realms, making its meaning more closely associated with the implications the writer intends to convey to the creative recipient.

The research explores interactive spaces and their connection to both happy and sad memories, utilizing places according to the writer's feelings towards them—whether they are familiar places that evoke love, joy, and reassurance, or hostile places that induce feelings of hatred, sadness, and anxiety.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.5.2.2025.06

## المكان في كتاب (في أدب الصداقة) لعبد الرحمن منيف ومروان قصاب باشي

سحر علي إبراهيم الدراجي/ وزارة التربية / المديرية العامة لتربية صلاح الدين

**الخلاصة:**

تناول البحث الموسوم ( المكان في كتاب " في أدب الصداقة" لعبد الرحمن منيف ومروان قصاب باشي) ظاهرة المكان التي لها أهمية كبيرة في الكتابات الأدبية عامة والسردية خاصة، لما يمتلك المكان من طاقات دِلالية موضوعية مستمدة من قيمته الأبدية في الحياة الإنسانية، ولكن الكاتب قدمه بأسلوب فاعليّ

ومؤثر يكسب النصوص روح الحداثة والحضور.

ارتبط مفهوم المكان بالمبدع والإبداع على حد سواء؛ لأنه يرتبط بالكاتب وتجربته الخاصة، فالمكان لا يقف عند حدود مقيدة وإنما يتعداها إلى مجالات لا متناهية فيكون المعنى أكثر ارتباطًا بالإيحاءات المراد إيصالها من الكاتب للمتلقي المبدع. ويذهب البحث إلى دراسة المكان التفاعلي وارتباطه بالذكريات السعيدة والحزينة على حد سواء، موظفًا الأماكن على حسب مشاعر الكاتب تجاهها سواء كانت أمكنة أليفة تشعره بالحب والفرح والاطمئنان أو أمكنة معادية تشعره بالكره والحزن والقلق.

**الكلمات المفتاحية : المكان ، المراسلات ، برلين ، دمشق ، الذكريات ، الأليف ، المُعادي.**

## التمهيد

### تعريف المكان وأهميته في السرد.

### أ- المكان لغة:

يطلق المكان على الحيز الذي يشغله الإنسان، فهو جرمٌ فوق الأرض، يأوي إليه الإنسان. وبهذا المعنى دارت معانٍ وتعريفات المكان في كتب اللغة:

جاء في تهذيب اللغة : " المكان والمكانة واحد، و مكان في أصل تقدير الفعل (مَفْعَل)؛ لأنه موضع لكينونة الشيء غير أنه لما كَثُر أجروه في التصريف مجرى (فَعَال)." (الأزهري، 1421هـ ، 2001م ، مادة (مكن)) ، وأضاف صاحب لسان العرب : " والجمع أَمْكِنة، وأَماكِنُ جمع الجمع " (المصري، 1423هـ ، 2003م، مادة (مكا)).

وقيل في كتاب التعريفات: "المكان عند الحكماء: هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوى. وعند المتكلمين: هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده. والمكان المعين: عبارة عن مكان له اسم نسميه به بسبب أمر داخل في مسماه، كالدار. فإن تسميته بها بسبب الحائط والسقف وغيرهما؛ وكلها داخلة في مسماه." (الجرجاني، 1428هـ ، 2007م : 205).

## ب-المكان في الفن القصصي:

المكان في الأدب لا يفهم من خلال وصفه المادي المجرد فحسب؛ لأن الكاتب، وخاصة القاص والروائي يتعامل معه بخياله الجامح، وأحاسيسه الخاصة، ورؤيته المكانية التي تنبثق من ذات بصيرة بما تكتبه. فهو يمثل " محورًا أساسيًّا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب إذ أصبح يُنظر إليه على أنه عنصر شكلي من عناصر العمل الفني" (قاسم و وآخرون، 1988: 5).

ويمثل المكان "مكونا محوريًا في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين، فللأمكنة خصوصيات تجعلها دائمًا مادة أساسية". (نابلسي، 1994 : 96). والكاتب يحمل خيال المتلقي إلى الأماكن التي يذكرها في نصوصه ، والبارعون هم من يوصلون ذات الكاتب والأحاسيس التي يشعر بها إلى المتلقي وكأنّه هو من مرَّ بهذه التجربة. (طه، أسعد، و خلف، 2024، صفحة 3)

يتأسس المكان القصصي على اللغة، فهو "مكون لغوي تخييلي تصنعه اللغة الأدبية من ألفاظ لا من موجودات وصور" (كاصد، 2003م : 127)، حاملة للكثير من الدلالات الجمالية، والوظائف الفنية، رغم ارتباط اللغة –أصلا– بأصولها الحسية بفعل ما تتوفر عليه من أبعاد فيزيقية، ذلك أن النص القصصي، يخلق ويولد " عن طريق الكلمات مكانا خاليًا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة" (كاصد، عالم النص : دراسة بنيوية في الأدب القصصي، 2003م : 128).

إن علاقة الإنسان بالمكان علاقة متبادلة، قلقة، وغير ثابتة " فالإنسان بمشاعره وعواطفه ومزاجه يأخذ من الطفولة طقوسها وفصولها ما يساعد مشاعره وعواطفه على رسم المكان فإذا به كالفنان الذي يختار من الألوان ما يساعده على تنفيذ لوحته الفنية ويساعده على نقل ما يريد أن يقوله ، باعتبار أن المكان دائماً في حركة أخذ وعطاء مع شخصيات وأحداث الرواية ..." (مرابط و بداوي، 2021م : 7).

ومن هنا يمكن القول أنَّ "اللغة مأوى المكان في النص السردي، كما يرى الناقد خالد حسين على عكس الأمكنة في الأجناس الفنية الأخرى : مسرح ، موسيقا ، فن تشكيلي ، سينما .. كما يؤكد أننا من خلال اللغة نستطيع أن نصل إلى ما يسمى بـ شعرية التفاصيل" (حسين، 1421هـ ، 2000م : 78) . فالأمكنة تكتسب فلسفتها "بدخولها عالم النص اللغوي، فوحدها اللغة تفصل جمالياته، وعِبر تلك اللغة تصل إلينا الأشياء والأماكن، فنعيش تجربتها من جديد" (كحلوش، 2008م : 66) . فاللغة إجمالًا هي ركيزة أساس في فلسفة بناء المكان الروائي.

ولأن الكتاب الذي ندرسهُ هو مراسلات بين الكاتب عبد الرحمن منيف والرسام مروان قصاب حري بنا أن نقف عند سيرة الرجلين:

## عبد الرحمن منيف( 1933_ 2004) (السعيد، 2021 : 821):

ولد عبدالرحمن منيف لأبوين سعوديين في العاصمة الأردنية عمّان في عام 1933، وفيها درس ونال شهادات مراحل التعليم الأولى حتى وصل للمرحلة الجامعية، لتكون بداية رحلته العلمية خارج المملكة.

البداية كانت من العراق، ففي عام 1952 انتقل منيف لدراسة القانون في جامعة بغداد، ثم اتجه إلى مصر ليتخرج في جامعة القاهرة قبل أن يحصل على الدكتوراه. وبعد أقل من 10 سنوات حصل الشاب الطموح على درجة الدكتوراه في اقتصاديات البترول من جامعة بلغراد عام 1961. ثم اتجه للعمل في وزارة النفط بدولة سوريا عام 1973، وانتقل ليقيم في بيروت، إذ عمل في الصحافة اللبنانية، وبدأ بكتابة رواية (الأشجار واغتيال مرزوق)، وخلال فترة وجوده في العراق ترجم حبه لهذا المجال بالكتابة عنه فعمل محرراً في دورية "النفط والتنمية" الشهرية حتى عام 1981. ثم غادر العراق متوجهًا إلى فرسا؛ متفرغًا للكتابة الروائية، ثم عاد بعدها إلى دمشق وأقام فيها حتى وفاته يوم 25/ 1/ 2004.

عبد الرحمن منيف لم يكن يحب مجال النفط فقط بل الكتابة أيضاً، وكان يعتقد أن مهمة الأدب هي زيادة الوعي ؛ لذا حرص أن يكون له أثر يسهم في هذه المهمة. وبالفعل، أسهم في هذا المجال وكانت بدايته الحقيقية في الكتابة خلال فترة السبعينيات من القرن الماضي، بعد أن ترك وظيفته في الحكومة العراقية وانتقل إلى دمشق، وخلال تلك المرحلة كتب عدة قصص قصيرة قبل نشر كتابه الأول.

وخلال فترة إنتاجه الأدبي قدم الراحل للعالم نحو 15 رواية، بما في ذلك "خماسية مدن الملح" (1984–1989)، التي تعد أشهر أعماله وفيها يصف كيف تغير العالم العربي خلال عصر النفط.

أما أبرز أعماله : شرق المتوسط (1975)، النهايات (1978)، والرواية التاريخية المكونة من ثلاثة مجلدات أرض السواد (أرض الظلام 1999).

وتمت ترجمة بعض رواياته و تسعة كتب واقعية أنتجها إلى أكثر من عشر لغات، وحصل على جائزتين متميزتين عن كتاباته، منها جائزة العويس الثقافية عام 1989، وجائزة ملتقى القاهرة للإبداع العربي في كتابة الروايات عام 1998.

وكان منيف صحافيًا وناقدًا ثقافيًا ملهمًا، ويمكن اعتباره واحدًا من أهم المؤلفين السعوديين المعاصرين في القرن العشرين.

**مروان قصاب باشي (1934_ 2016)** (Wayback Machine.COM, 2018) :

ولد في دمشق ودرس الأدب العربي في جامعة دمشق عام 1955، وغادر دمشق ليلتحق بجامعة الفنون الجميلة في برلين، ليتخرج من قسم التصوير عام 1963، واستمر بالعمل كمحاضر في الجامعة حتى عام 2000.

هو رسام ونحات سوري، وأحد أبرز الفنانين التشكيليين العرب في العصر الحديث، ومن بين الفنانين الأكثر حضورًا في المعارض الدولية. تميزت رسوماته بحصرها صورة «الوجه الإنساني» المعذب للتعبير عن الحالات الوجودية العميقة التي تعكس رؤيته الحسية للعالم، وهو ما اتخذه طابعا أساسيا لسائر أعماله. امتدت رحلته مع الإبداع التشكيلي عقودا من الزمن، وتوجت باعتراف عالمي واسع، واقتنيت أعماله من قبل أهم المتاحف في العالم العربي والأوربي أبرزها : المتحف الوطني (دمشق)، و دارة الفنون (عمّان)، و مركز جورج بومبيدو (باريس)، و متحف التراث الثقافي (برلين)، وغيرها. كان عضواً في المجمع الفني البرليني الألماني، بقي مروان وهذا اسمه الفني المختصر، يرسم حتى آخر أيام حياته، وودع الحياة بعيداً عن دمشق التي كان قد غادرها قبل ستة عقود من رحيله.

## المطلب الأول

## المكان الأليف

تتعدد أنواع المكان وظهوره في العمل القصصي بحسب طبيعة المكان واختلاف وجهات النظر إليه، وما ينظر إليه الكاتب والسارد والمتلقي فالمكان الواحد يمكن أن يكون أماكن متعددة بسبب ذلك الاختلاف، وتبعا لتلك العلاقة المتشابكة.

يجب أن نعلم أنَّ كل قصةٍ أو سرد قصصي يقتضي نقطة انطلاق في الزمن ونقطة إندماج في المكان، أو على الأقل يجب أن تعلن عن أصلها الزماني والمكاني معًا، فالقصة القائمة أساسًا على المحاكاة، لا بدَّ لها من حدثٍ، وهذا الحدثُ يتطلبُ بالضرورة زمانا ومكانًا، إلا أن المكان هو الذي يستقطبُ جماعُ اهتمام الكاتبِ وذلك لأن تعيين المكان في السرد هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهضُ به في عملٍ تخيلي" (عوض، 2004 : 212).

فالمكان في العمل السردي "ليس مجرد عنصرٍ جامد من عناصر السرد، بل ينصهر مع سائر العناصر ويتفاعل معها مكونا البنية الكاملة للنص الروائي، فالمكان يكفهر إذا غضب البطل، وتهب نسماته

الرضية على الجميع إذا ما شعر بالرضا، ولا يمكن الاكتفاء بامتزاج المكان وتفاعله مع العناصر الأخرى فحسب، بل نجده الركيزة الأساس والأرضية التي تشد إليه جزيئات العمل ككل" (النتشة، 2012 : 6).

وتعددت تقسيمات المكان، واختلف النقاد في ذلك، منها تقسيمات ثنائية تقابلية من شأنها أن تكشف البنية النصية:

1-المغلق /المفتوح.

2-الأليف / المعادي.

3- الآني/ التاريخي.

4-التخييلي/ الواقعي.

وسنقتصر في بحثنا هذا على الأليف والمعادي لشموليته:

فالمكان الأليف هو المكان الذي يحمل سمات الأُلفة والحماية والأمان والمودة والفرح والسرور. فهو " كل مكان عشنا فيه، وشعرنا فيه بالدفء والحماية بحيث يشكل هذا المكان مادة لذكرياتنا، ويعد البيت لا سيما بيت الطفولة اشد انواع المكان الفة، ومن المعروف اننا نعود بذكرياتنا دائماً الى بيت الطفولة هذا وإلى الهناء الأولى التي لقيناها فيه، وإلى دفء الأحضان التي ضمتنا فيه" (العاني، 2019 : 301). وقد "تنسجم الشخصية مع المكان فتحبه وتألفه، وقد لا تنسجم معه فتكرهه فتشعر بعدم الانتماء للمكان ومن ثم تهجره، هكذا يسهم المكان في تكوين الشخصية؛ لأن حياة الشخصية تفسر طبيعة المكان، فالمكان والشخصية كل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به" (شلتوت، 2020 : 18).

يقول عبد الرحمن منيف في رسالةٍ:

"من دواعي غبطتي واعتزازي، أثناء زيارتي لألمانيا ، أننا التقينا مرة أخرى. صحيح ان الوقت كان قصيراً، وبعض الأحيان مضطرباً، لكن الأحاديث التي خضنا فيها، والأفكار التي تبادلناها جعلتني أثق أكثر من قبل ان الفن يمكن ان يفعل شيئاً مهماً : ان يجعل البشر أكثر احتمالاً، ان لم أقل أجمل كان لدي شك كبير وربما لا يزال، أننا نخوض في مياه ضحلة، وبالتالي لا حاجة للكلمات الكبيرة أو الأحلام حول المستقبل، ولهذا فإن الفن، أياً كانت وسيلته، هراء لعبة مجانين شيء زائد. ربما اللون للبكارة التي يتمتع بها، وللحياد الذي يميزه لا يزال قادراً على ان يقول" (منيف و باشي، 2012 : 13)

يحدد منيف ألمانيا، حيث التقى بصديقه مروان وبدآ فكرة كتابة الكتاب هو المكان الأليف، باعتبار أن المكان الأليف متنوع تبعًا لشعرية الشخصية وانطباعاتها، فالشخصية هي التي تحدد المكان الأليف والمعادي، وهناك أماكن غير المنزل تبعث الراحة والأمان للشخصية وقد يكون المنزل نفسه، فالمكان الأليف هو الذي تنسجم معه الشخصية.

ويقول مروان قصاب وهو يتحدث عن البيت الذي يمثل المكان الأليف بكل تجلياته:

"نشأت في بيت عربي مع القاعة والديوان والمربع وغرفة البدو وغرفة المونة (بيت المونة) وكانت تأتي الجمال محملة بالكثير إلى زقاق البركة، بيت الآغا، لترك بعض المحصول البيتي وكان بيت المونة مليئًا" (في أدب الصداقة : 30).

يستغرق مروان في وصف البيت، باعتبار أن البيوت تُشكِّلنا وهي التي نعيش فيها ونُشكِّلها، نترك آثارنا على كل ركن فيها وتترك آثارها علينا، تُشكِّلنا الجدران والروائح، وتنطبع في القلوب، سواء كانت بيوت الطفولة الأولى، البيوت التي لم نخترها لكنها ألِفتنا وألِفناها، احتمينا بأركانها من الوحشة، ورسم خيال طفولتنا وحوشا مختبئة بين نقوش جدرانها، أو كانت بيوتا اخترنا كل ركن فيها؛ كل تفصيلة وكل لون بحثا عن الأُلفة والأُنس. فهنا بيت المونة الذي يمثل الغذاء والسعادة وهنا كل شيء جميل.

ويستغرق في وصف البيوت الدمشقية الجميلة:

"ثم البحرة الكبيرة والبحرات الصغار مع النافورة في الغرف الأخرى والمطبخ الصيفي والشتوي والقسم العلوي من الدار حيث المشرقة ودوالي العنب الأبيض والأحمر والأسود وعلى جوانب المشرقة الغرف المنتشرة. وفي الأحواض كانت (الزريعة) وشجرة كباد ونارنج ثم شجرة ليمون كريمة إلى جانب الياسمين والورد. لقد كانت الأرض أرض الديار مرصوفة بالرخام الملونة والحيطان كانت من الحجر الأسود وفوقها رصيف آخر أبيض على طريقة هندسية زخرفية. عصراً كانت الديار تشطف) وتحضر القهوة ويأتي الجيران أو الضيوف وكان الولد يخرج غالباً للحارة للعب مع الأطفال الآخرين والساعات الحلوة كانت مع الخالة "إفكات" أو عفت و نعمت والسماع مساءً قريباً من المنقل للحكايا المشوقة التي يروونها لنا" (في أدب الصداقة : 30).

ففي البيت تتشكل الذاكرة، مع البحيرة، النافورة، الزريعة، الخالة، وهي كلها أشياء تبعث الألفة والمحبة، وهذا المكان/البيت تفسير للسلوك الذي تسير في ضوئه الشخصيات، وإن الأُلفة لا تتم بين (الأنسان / المكان الخاوي)، بل يألف الإنسان بالأحباب الذين يقيمون في المكان؛ لأن " المكان والذكريات المستعادة لا يمكن النظر إليها بوصفها أبعادًا هندسية قبل أن يتدخل فيها الخيال، وتكون ملامح أُلفة

ومعطيات ترتقي من خلال ذلك الخيال وأحلام اليقظة إلى فكرة دينامية الخيال" (بلاشلار، 1404 ، 1984: 756)، فالبيتُ هنا لم يكن مجرد مكان للسكن أيام الطفولة فحسب، وإنما مكانا وجد فيه الشخصية ضالته من حيث العاطفة والحنان والبراءة التي افتقدها عند الكبر، ثم أن هذه الألفة بين الأماكن والزمن والشخصية كلها تعبر عن محنة مروان قصاب وغربته والحنين الذي تملكه، عبر التماهي المكاني.

ويقول:

"ان أجمل ذكريات السماء هي سماء الخريف بزرقتها اللازوردية وقريباً يأتي معها الغيم المتقطع تقطيع الغنم وزهر الرمان الخريفي، وإذا أحببت تلك السماء ولونها مع الحزن الطفيف بغياب الصيف وغياب عام، فإن ذلك الحب ارتبط بشعور من الحزن العميق الذي يحيط قلبي بالضياع .. معنى الخريف وغيومه المحببة والزرقة الصافية ان المدرسة على أبواب الانفتاح للعام الجديد والسجن من جديد" (في أدب الصداقة : 32).

يستعيد ذكرياته، بكثير من الحسرة، ويتخذ من لون السماء بابا يدخل إلى ذكرياته، وما تثير هذه الذكريات من أحزان عميقة، فهذا المكان يتسمُ بالألفة والجمال. فهو يستحضر هذه الأشياء للتعبير عن طفولته وعن وطنه المغترب عنه.

ويقول في نصٍ آخر يسترجع طفولته ومدينته:

"إن عصر دمشق وعصر الحارة مرتبط بذاك الضوء الحار، زرقة السماء وأسراب الطيور والسنونو ورائحة الحطب في المشرقة وأمي تحضر لأيام المونة للشتاء بمساعدة بعض الجيران وخالة "إفكات ". ان الصورة المذكورة حاضرة دائماً وقد ارتبط بها قريباً (تقريص) طائرة الورق بألوانها ذات البنفسجي والأصفر إلى جانب الأحمر والأخضر والأزرق ومهرت مع الوقت بصناعتها حيث كنت أشتري . السراس والورق من عند أبو إيد مقطوعة، والخيط من سوق الخياطين، كانت الطائرة وبتحليقها رمزاً محسوساً للفرح، للصعود ولاكتشاف القرى والسهول اكتشاف الأنهار والقارات" (في أدب الصداقة : 32) .

يذكر في المكان أشياء كلها رمز للفرح والبراءة واستعادة الماضي، دمشق/ السماء الزرقة، الطيور، الحطب، الخالة/ الطائرة، وغيرها، مما يجعل من دمشق في الطفولة مكانا آمنا، أليفا. إن هذه الصورة الوصفية المتحركة والتي تجمع بين رموز مرادفة لبعضها تتعلق بالأمكنة الواسعة اللامحدودة تعزز من الوضعية النفسية الشعور بالراحة لتلك الأمكنة (نبو، 2024، صفحة 35)

وتخضر دمشق في نص الرسائل على نحو كبير، وتعتبر الكتابة عن المدن وعوالمها، من الأشياء الشائعة في كتابة الرسائل، في أي مكان به من يكتب رسائل، وهناك مدن حقيقية دخلت بشوارعها وضجيجها ومركباتها وأرقام بناياتها وحتى العمال الذين يشيدون عمرانها، ومدن أخرى خرجت من خيال الكتاب، وأصبحت فيما بعد معروفة بشدة لدى القراء كأنها صيغت بالفعل في الواقع، ويمكن زيارتها في أي وقت، يقول عن دمشق:

"انفتح لي صدر في دمشق، وانفتحت لي صدور في (المزة شعرت في ظلها بالحب والعزاء والرضاء ورأيت في ظلها بعض سيرة حياتنا البارحة واليوم وأصبحت أحلم بالعودة سراً إلى دمشق لأطرق باب (المزة)، باب السعادة المباركة، لأقول: ها أنا أين سعاد ؟ بعض الطعام وبعض الشراب ، وأني لا أسأل عن الوداعة والحب لأني أراها في عيونكم. ثم أجلس معكم مع أخي عبد الرحمن لنتحدث، لأعوض عما فات منذ جيل وأنا بعيد عنكم إنها لغتي، إنه وطني وبيتي وقد ذهبت طويلاً إلى الطرف الآخر لأرسم لكم تلك اللوحات وكان ثمنها الفراق والبعد، وينبوعها الذكرى" (في أدب الصداقة : 44).

تمثل دمشق التي ابتعد عنها مروان بعدًا مكانا أليفا وبعيدًا، يشعر في ظلاله بالحب والسعادة، ويذكر جملة من التفاصيل في دمشق تجعل من الذاكرة التي تملأه حية مسترخية وهي تستعيد هذا الجيل الماضي، ما يجعلُ المُتلقي "يحسُّ بالإنطباع والنكهة والأصوات والجو المألوف الخاص بهِ ، وأن يستطيع مراقبة الشّخصيّة ... ويرى ما تراهُ ... وأن يحسّ ما تحسّ بهِ تجاه هذا المكان" (جاسم، 2004 : 157).

ويقول:

"حين أسمع صوتك على الهاتف أشعر بالاطمئنان، وأشعر أيضاً بثقل الزمن. لقد مضى وقت طويل منذ لقائنا الأول عام 1956، لكن حين التقينا من جديد في برلين عام 1990 ثم بعد ذلك، فأشعر ان الزمن ليس مجرد سنوات إنه شيء آخر، ويبدو أقرب إلى الحيرة. هل صحيح ان كل ذلك الزمن قد مر ؟ وكيف نفسر طزاجة اللحظات الأولى، عبقها، استمرارها ؟ وماذا يعني الزمن في النهاية؟" (في أدب الصداقة : 55).

يقترن المكان بالشخصية، فالشخصية هي من تجعل المكان أليفاً أو معاديا طبقا لما تراه من سعادةٍ شخصية، وهنا تلمحُ الشخصية وكيف تتحولُ إلى سعادة ويتوقف الزمن.

ويقول منيف:

"جاء المطر أخيراً ومعه البرد. كنت في بيروت قبل أيام، وهناك رأيت مطراً لا أعرف له مثيلاً إلا حين كنت صغيراً. كنت قبالة النافذة أرقب السماء تبرق ثم ترعد، وأخيراً جاءت الأمطار كالشلالات ما زلت أفرح من أعماقي حين أشهد المطر، ربما نتيجة هذا العطش الصحراوي المزمن، ولأن المطر يعني الخير والبركة ليس للمزارعين وحدهم وإنما لجميع البشر الأرض بعد المطر لها رائحة ولها مذاق يشيران في نفسي انفعالات شتى وكذلك الحشيش المقصوص. وقد أكتب حول ذلك يومًا !" (في ادب الصداقة : 101)

يجعل الكاتب من المطر بنية مكانيةً تملأ الفضاء وتجعله أكثر قابلية لأن يمنحه ألفةً، فهو باعث نحو الفرح، وهو يرمز للخير والبركة، فهو يستدعي الطفولة، يقول (حين كنت صغيرًا) ، هذا الحذف الغير المحدد الذي منحه عودة، كان يقف قبالة النافذة، يتماهى البيت مع الطبيعة ويصنع في ذهنه حبًا للمكان.

## المطلب الثاني

## المكان المعادي

ويمكن تعريف المكان المعادي بأنَّه :" المكان الذي لايشعر الانسان فيه بالألفة وإنما يشعر نحوه بالعداء ، فيكون مرغمًا على العيش فيه ، فيشعر بالكراهية والنفور منه" (جواد، 1437هـ ، 2012م : 101) ، وهذه الأماكن "إمّا أنْ يُقيم فيها الإنسان مرغماً ... أو إنَّ خَطَرَ الموت يكمن فيها لسببٍ أو لآخر" (العاني، البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)، 1994 : 2/ 129).

فقدان الشعور بالأمن، وانعدام الإحساس بالألفة في المكان يخلق آثاراً خطيرةً في حياة المرء، تنعكس على حالتهِ النفسية، وعلاقاته الاجتماعية، ومعظم أنشطته الحياتية، إذ تبدأُ النفس تشعر بغربتها، وينبعث منها إحساس حادٌّ بعدمِ التلاؤم مع مُحيطها ومجتمعها، فتعيشُ حالةً من الفوضى، وعدمِ الاستقرار الذي يَشلُّ حركتها، ويقمع جميع أفكارها وتطلعاتها، وذلك كالغربة، والمنفى، والسجن.

يقول ويتخذ الغربة مكانا معاديًا:

"اليومية المعتادة والأمل والمناعة والفرح والحزن. إن أصعب رحلاتي النادرة في دمشق حيث يعود الطفل الرجل إلى مدينته الأم وقد أخذت دمشق طريقها كما أخذت طريقي والمدينة لها قصة حياة كما للإنسان في دمشق أشعر بالحنان والحب والغربة أيضاً. وأعود إلى برلين غريباً من جديد. وليست غربتي اليوم كغربة الأمس الطفل، بل إنها غربة جديدة تبعدني عن الشواطئ المعتادة حيث يوجد الظل ونسمات الأمل الفرحة أحاول كل جهدي في الظروف المذكورة ان أكسب توازني من خلال الرسم وإذا لم أوفق حالاً فإن صديقي هو الحزن وقليلاً من اليأس والقنوط والشعور بالانعزال التام. لقد عدت من دمشق بشعور الغربة

المذكور ثم ان مرضي لازمني في برلين وأحاول منذ أيام الرسم بشكل محموم لأكسب شيئاً من الاطمئنان والتوازن" (في ادب الصداقة : 17).

نعرف أنَّ المكان المعادي هو الذي يتخذ من تجسيد السجن والطبيعة الخالية من البشر ومكان الغربة وما شابهها، مثل حال مروان قصاب وهو يتخذ في النص أعلاه من الغربة والوحشة التي تتدافع ويلها مرض، والمكان كتجربة معاناة وهو المكان القادر على إثارة ذكرى المكان عند القارئ وعليه فإن المكان المعادي لا يكون منصراً في حدود ما، وبهذا فأنه يتمثل عند الإنسان عندما يشعر قاطنة بالغربة الموحشة ولا يستطيع أن يأتلف مع أهله ومواطنيه، ولا تربطهم رابطة دم أو رابطة انتماء، وحين يحل بينهم فإنما يحل حلولا قسريا مفروضا عليه ويعامل فيه معاملة ازدراء، إذ إن هناك أمكنة لا يشعر فيها الإنسان بالطمأنينة والأمان والألفة مهما بقي فيها، وهي أماكن قد يقيم فيها تحت ظروف إجبارية كالغربة أو الأماكن التي توحي بأنها مكامن للموت، والطبيعة الخالية من البشر وأماكن الغربة، جميع هذه الأماكن تمثل مكاناً معادياً غير مألوف بالنسبة للإنسان، والمكان إذا لم تنسجم معه الشخصية سمي مكاناً معاديا، إذ يؤكد ذلك الصلة التي تربط الإنسان بالمكان، فتظهر معه الصلة وعواطف الإنسان وانفعالاته، فيؤثر كل منهما في الآخر على وفق علاقة ألفة أو عداء. ومن هنا نظرة مروان للمكان.

وتتحول دمشق إلى مكانٍ قاسٍ، إذ تمثل الحنين ثم العودة للغربة، يقول:

"كان سفري لدمشق في الماضي ينطبع بالخوف، ليس من دمشق أو الوطن بل من برلين والعودة إليها حيث أواجه الانشطار والغربة من جديد وبشكل مختلف عن أيام الصبا مع امتداد الزمن أواجه هذا الشعور عند زياراتي للمغرب أيضاً، والمغرب أهلي يا عبد الرحمن ولكنه ليس ( داري وبيتي)" (في ادب الصداقة : 40).

ويقول منيف وهو يكره الصيف:

" ان دمشق في الصيف قائلة من حيث تبديد الوقت والحرارة والزيارات الطارئة، الأمر الذي يجعل الكتابة مستحيلة، وهذا ما يضطرني إلى المغادرة والاعتكاف هناك، وقد لا أعود إلا لفترات قصيرة حتى شهر أيلول القادم" (في أدب الصداقة : 92).

هنا دمشق، وهي تمثل المكان المعادي باعتبارها المكان الخانق الملقى خارج النفس، الذي يمنعه من الكتابة بسبب شدة الحر، فهنا المكان يثير في الذات الإنسانية والخوف والقلق لدرجة الاختناق، وتكون العلاقة بينة وبين الشخص علاقة عدائية سلبية تتخذ فعاليات هذه الأمكنة طابعاً عشوائياً، يصعد عند الإنسان فاعلية الإحساس بالخوف من المجهول، ويشكل المكان المعادي أحد الأماكن التي لا يمكن تجاوزها في أي نص ذلك أن الشخصيات تعيش في مكان محدد، وهذا المكان إما أن يكون مألوفا أو معاديا بمعنى

أن ارتباط الشخصيات بالأماكن إنما هو ارتباط روحي له دلالته المادية والمعنوية التي لا يمكن التغاضي عنها، فالمكان المعادي نقيض المكان الأليف.

يقول مروان قصاب:

"كنت طريح الفراش يومين أو ثلاثة وقد أنهيت كتاب عالم بلا خرائط وأعدت قراءة بعض المقاطع ثم اكتشفت أنه لدي كتاب من جبرا عن جواد سليم من السبعينات فدرسته وقرأت بعض فصوله... وفجأة اختلطت على الفصول يا عبد الرحمن بين "علاء" و "جواد" وأنا وجيرا وأنت كنت محموماً قليلاً وجاءت بغداد إلى جانب برلين و دمشق وضاع موقعي في برلين وأصبح كل شيء غريباً .... ومؤلماً، فنجوى ثم الموت الباكر الجواد وكلمات جبرا عنه وكتابكم المشترك ثم كتابك عني.. فيا ويلي..!" (في أدب الصداقة : 97)

هنا يبدو المكان يلتقي بالشخصية ويعبر عنها، شخصية الذي يرسل الرسالة، فهنا الشخصية تمر بوعكة صحية، بمرضٍ يبدو عصيًا ويجعله يستحضر الأمكنة، إذ يبدو إن المكان طغت عليه الأنسنة وهي " أن يتحول المكان الى إنسان يتأثر ويؤثر ، وهو في ذلك يحاول أن يختلس دور البطولة او المشاركة في احداث الحياة اليومية للشخصية " (ملحم، 2011 : 7).

ويقول:

"يختلط علي الموت بالحياة والصعود بالتقاعس، تختلط علي برلين مع دمشق والغابات الندية في الشمال بسهول الشرق، تجاوز الخيبة الأمل وتسرع الأيام والفصول وأنا أنظر إلى راحتي يدي أحاول ان أقبض على حفنة من الزمن قبل الضياع. أحياناً أرى نفسي كمن يتشبث بغصن شجرة على الشاطئ لكي لا يجرفه شلال الحياة إلى الأعماق، وما أكاد أخرج من هذا الشعور حتى أرى نفسي في دوامة هادئة تتحرك بإصرار قاطع إلى المركز، فيأخذني التعب وأشعر ببرودة رمادية، هذا إذا كان لبرد النفس لون" (في أدب الصداقة : 98)

يظهر هنا مروان قصاب تائه ولا مكان يحويه، برلين، دمشق، الغابات، كل شيء اختلط بين الموت والحياة ولم تعد له دلالةً واضحة تتجاوز اللحظة الراهنة، فهو يتشبث بغصنٍ رقيقٍ، يحاول النجاة.

## الخاتمة والنتائج

بسم الله في البدء والختام والصلاة والسلام على خير الانام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

من خلال هذا الجولة العلمية النافعة مع (المكان في كتاب "في أدب الصداقة" لعبد الرحمن منيف ومروان قصاب باشي)، أُسطِّر ما تبين لي من نتائج لعل أهمها :

1- يُعدّ المكان مكونًا رئيسًا في أي نصٍ سردي، وهو يتحكم بالشخصيات وميولها.

2- يُعدّ كتاب (في أدب الصداقة) مراسلات بين الروائي الشهير عبد الرحمن منيف، والفنان مروان قصاب باشي ، جمعتهم صداقة وشغف ويضعون في الرسائل أسئلة عن الفن والمكان والحياة والغربة والوطن.

3- برلين ودمشق، أكثر الأماكن ذكرًا في الرسائل، لأنها محل تواجد مروان قصاب باشي.

4- قسمنا الأماكن إلى أليفة ومعادية، وقد تتحول هذه الأماكن في الدلالة طبقًا لمزاج الشخصية، فالأليف يصير معاديًا و العكس بالعكس.

## Sources and references :


 (January 18, 2018). Retrieved from Wayback Machine.COM.

 Ahmad Rujab Shaltout. (2020: 18). The Violet Spring: A Reading of Arab Novels. Egypt: Arab Press Agency (Publishers).

 Jamila Imad Al-Natsha. (2012: 6). Place in the Novels of Sahar Khalifa. Palestine: Al-Khalil University.

 Khaled Hussein. (1421 AH, 2000 AD: 78). The Poetics of Place in the New Novel: The Narrative Discourse of Edwar Al-Kharrat as a Model. Riyadh: Al-Yamamah Press.

 Dr. Ibrahim Ahmed Malham. (2011: 7). The Poetics of Place: A Reading in the Poetry of Maan Said Al-Attiba. Irbid: Dar Alam Al-Kutub Al-Hadith.

 Dr. Sulaiman Kasid. (2003: 127). The World of Text: A Structural Study in Narrative Literature, 1st ed. Jordan: Dar Al-Kindi for Publishing and Distribution.

 Dr. Sulaiman Kasid. (2003: 128). The World of Text: A Structural Study in Narrative Literature (Vol. 1st ed.). Jordan: Dar Al-Kindi for Publishing and Distribution.

 Dr. Shuja Muslim Al-Ani. (1994: 129). The Artistic Structure in Arab Novels in Iraq (Description and Construction of Place), 1st ed. Baghdad: Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiya.

 Dr. Shuja Muslim Al-Ani. (2019: 301). The Artistic Structure in Arab Novels in Iraq, 1st ed. Baghdad: Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiya Al-Amma.

 Dr. Salah Jasem Nabou. (June 15, 2024). The Narrative Sign in the Story "By the Tall Palace" by Najman Yassin. Tikrit University Journal for Humanities, Issue 1: 35.

 Dr. Fatima Issa Jasem. (2004: 157). Ghaib Ta'uma Furman as a Novelist (A Technical Study). Baghdad: Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiya Al-Amma.

 Dr. Hanaa Jawad. (1437 AH, 2012 AD: 101). The Echoes of the Self in Andalusian Poetry, 1st ed. Amman: Dar Al-Ridwan.

 Zuhia Wadi Marabet, and Fahima Badawi. (2021: 7). The Narrative Structure in the Novel "Journey of Illusions into the Unknown." Algeria: Akli Mohand Oulhadj University.

 Siza Qassem, et al. (1988: 5). The Aesthetics of Place, 2nd ed. Casablanca: Eye of Articles Publishing, Dar Qurtuba for Printing.

 Shakir Nabulsi. (1994: 96). The Aesthetics of Place. Lebanon: Arab Institute for Studies and Publishing.

 Duha Munir Taha, Narjis Khalaf As'ad, and Hasan Ismail Khalaf. (June 26, 2024). Place in the Layer of Elegies in Ibn Salam Al-Jumahi's "The Classifications of the Elite Poets." Tikrit University Journal for Humanities, Issue 6: 3.

- Abdul Rahman Munif and Marwan Qasab Bashi. (2012: 13). In the Literature of Friendship, 1st ed. Beirut: Arab Institute for Studies and Publishing, Dar Al-Tanweer.
- Ali bin Muhammad bin Ali Al-Jurjani. (1428 AH, 2007 AD: 205). (D. 816 AH), Definitions, 1st ed. Beirut, Lebanon: Dar Al-Ma'rifah.
- Amouri Al-Saeed. (2021: 821). The Structure of Time in Saudi Novels (The Eastern Mediterranean) by Abdul Rahman Munif. Scientific Research Notebooks.
- Gaston Bachelard. (1404 AH, 1984: 756). The Aesthetics of Place, 2nd ed. Beirut: The University Foundation for Studies and Publishing and Distribution.
- Fatiha Kahlouch. (2008: 66). The Rhetoric of Place: A Reading in the Spatiality of Poetic Texts, 1st ed. Beirut, Lebanon: Al-Intishar Al-Arabi Foundation.
- In the Literature of Friendship: 101.
- In the Literature of Friendship: 17.
- In the Literature of Friendship: 30.
- In the Literature of Friendship: 32.
- In the Literature of Friendship: 40.
- In the Literature of Friendship: 44.
- In the Literature of Friendship: 55.
- In the Literature of Friendship: 92.
- In the Literature of Friendship: 97.
- In the Literature of Friendship: 98.
- Lina Awad. (2004: 212). The Novelistic Experience of Al-Tahir Wattar: Between Ideology and the Aesthetics of the Novel. Jordan: Greater Amman Municipality.

.